



Manifestations of significance and its concepts in the Holy Qur'an



Received: 07/06/2024; Accepted: 10/01/2026

Mabrouk SICHY*

Constantine 1 - frères Mentouri university (Algeria), mabrouk.sichi@umc.edu.dz.

تجليات الدلالة ومفاهيمها في القرآن الكريم

الكلمات المفتاحية:

الدلالة ؛
الدال ؛
الدليل ؛
المدلول ؛
المستدل ؛
العبارة ؛
الإشارة ؛
النص ؛
الاقتضاء .

ملخص

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن ورود لفظة الدلالة وما يتصرف منها في القرآن الكريم والمعنى والكيفية التي استعملت فيها، وكيفية تناول الأصوليين والمفسرين منهم خصوصاً لهذا المصطلح، وما تعلق به من تصورات وتفرعات وعناصر وأركان وأنواع وطرق. ونقصد بذلك إلى ما يمكن أن نفيده به الدرس الدلالي الحديث، سواء في جوانبه النظرية المفاهيمية، أو التطبيقية العملية، حيث تعدّ الدلالة والبحث عن المعنى والمراد من وراء اللفظ الشغل الشاغل للمفسرين ولجميع المهتمين بدراسة القرآن الكريم، كما أنّ المناسبة في ذلك أيضاً أنّ التفسير وأصوله يعتمد أساساً على اللغة وعلومها (المعجم والنحو والصرف والبلاغة) والسياق بمختلف أشكاله وهو ما يمكن أن يُفيد في إغناء الدرس الدلالي الحديث.

Abstract

This research aims to reveal the occurrence of the word “connotation” and its meaning in the Holy Qur'an, the meaning and manner in which it was used, and how the fundamentalists and commentators among them in particular dealt with this term, and the concepts, branches, elements, pillars, types and methods related to it. By this, we mean what can benefit the modern semantic lesson, whether in its theoretical, conceptual, or practical aspects, where the significance and search for meaning and intent behind the word is the main concern of interpreters and all those interested in studying the Holy Qur'an, and it is also appropriate in this regard that interpretation and its principles It depends mainly on language and its sciences (lexicon, grammar, morphology, and rhetoric) and context in its various forms, which can be useful in enriching the modern semantic lesson.

Keywords:

Connotation;
Signifier;
Signified;
Inferred;
Phrase;
Reference;
Text.

* Corresponding author, e-mail: mabrouk.sichi@umc.edu.dz

Doi:

I - مقدمة

لا يزال الإنسان يطلب الدلالة بحثاً عن تلبية حاجياته المختلفة وتحقيق متطلباته المادية الحسية والروحية المعنوية، والتي قد يهتدي إليها بنفسه من خلال تجاربه وخبراته في الحياة كتمييزه بين الأشياء والكائنات الحية عن غيرها من خلال علامات معيّنة، ويتمكن من استكشاف ما يحيط به ويبني تصورات دلالية للوسط الذي يعيش فيه، ويتمكن من تأمين متطلباته من غذاء ومسكن وملبس وسياحة وعمل وعلم وغيرها، مستخدماً في ذلك ما جعل له الله سبحانه من حواس مختلفة يستدل بها (البصر، السمع، الذوق، الشم، اللمس)، أو بواسطة التواصل اللفظي مع غيره (لغة)، أو ينشد فيها من بدله ويهديه إليها، كما حدث مع ابني آدم في قوله تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ﴾ [سورة المائدة: 31]، فبصر ابن آدم كيف فعل الغراب، ودفن غراباً آخر ميتاً وكان ذلك دليلاً لكيفية التعامل مع جثة أخيه الميت.

والقرآن الكريم؛ هو كلام الله تعالى المعجز، المتعبد بتلاوته، أنزل بلغة العرب وفق ألفاظها وأساليبها، بواسطة جبريل عليه السلام، على خير البرية محمد ﷺ، ويُعد المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وتُعد نصوصه أدلة مبيّنة مسلمة للمؤمنين بها، فهو حجة الله البالغة، وهو خير هادي إلى سواء السبيل. وتأتي لفظة "الدلالة" في القرآن الكريم للبيان والهداية، تكرر فيها لفظة "الدلالة" وما يقترب منها في المعنى (هداية، بيان، علامة، سمة، آية) في مواضع مختلفة. وبمعاني قد تكون موافقة لما جاءت به المعاجم اللغوية أو متضمنة تبين من خلال السياقات أو بقرائن أخرى.

واختيرت لفظة "الدلالة" عند جلّ الباحثين العرب في مجال اللسانيات وعلوم اللغة عموماً، واستقرت تسمية للعلم الذي يهتم بدراسة المعنى "علم الدلالة"، لتقابل بذلك مصطلح "Semantics" في اللغة الإنجليزية ومصطلح "Sémantique" في اللغة الفرنسية؛ وهي كلمة مأخوذة من اللغة اليونانية، من الاسم sème، بمعنى: (إشارة/علامة)¹، في حين أُلصقت لفظة "العلامة" بعلم العلامات أو السيميائيات (Sémiologie / Sémiotique).

وترد كلمة "الدلالة" في اللغة العربية بمعاني متعددة، تقترب في كثير منها وإلى حد ما من تلك التي نجدها في مصطلحات ومفاهيم علم الدلالة الحديث، كما استعملها العلماء العرب القدامى (النحاة واللغويون والأصوليون والمناطقية) ووجدوا في مختلف اشتقاقاتها (دلّ، الدال، المدلول، المدلولات ...) ومعانيها صوراً جدّ مناسبة لتحليلاتهم المتعلقة بالمعاني والإفادة والأغراض والمقاصد، فهي ألفاظ ومفاهيم ارتبطت بالعلامات اللغوية وغير اللغوية.

- فكيف كان حضور لفظة الدلالة في القرآن الكريم؟

- وكيف كان أثرها في بناء مصطلحات ومفاهيم دلالية؟

II - الدلالة لغة واصطلاحاً:

عرضت المعاجم العربية لفظة "الدلالة" وجميع اشتقاقاتها بالشرح والتفسير والتّمثيل من اللغة العربية، وأبانت بأنّها تُنطق بكسر الدالّ "الدلالة" أو بفتحها "الدلالة"، وهي مصدر الفعل "دلّ". ووردت عند ابن منظور تحت مادة "دلّ"، فيقول: أدلّ عليه، وتدّلّ، دلّ يدلّ². ويحينا البحث في هذه المعاجم، بأنّ معانيها تقع تحت ضربين رئيسيين، استعملتها العرب في سياقات متنوعة، فقد جاء في مقاييس اللغة، بأنّ: «الدالّ والألم أصلان: أحدهما إبانة الشيء بأمارة تتعلّمها، والآخر اضطراب في الشيء. فالأول قولهم: دللت فلاناً على الطريق. والدليل: الأمانة في الشيء. وهو بين الدلالة والدلالة. والأصل الآخر قولهم: تدلّل الشيء، إذا اضطرب (...) ومن الباب دلال المرأة، وهو جرأتها في تغنّج وشكل، كأنها مخالفة وليس بها خلاف، وذلك لا يكون إلاّ بتمايل واضطراب»³، إنّ فعل الدلالة إذن يتضمّن الإبانة عن المدلول بواسطة أمارة التي هي الدليل (الدال) عليه، أمّا فعل التدلّل والتدلّل فيحملان معنى الاضطراب والحركة، فالأولى دلالة تتمّ بالقول: "دللت فلاناً على الطريق"، وهي دلالة لفظية (لغوية)، أمّا الثانية "جراة المرأة في تغنّج وشكل" دلالة تتمّ بالفعل (تمايل، اضطراب).

وعليه أيضاً فالدلالة مصدر دلّ، ودلّ يدلّ إذا هدى، ودلّ يدلّ إذا منّ بعبائه، وتدّلّ: انبسط، والمُدّلّ الذي يتجنّى في غير موضع تجنّ، والدليل: الذي يدلّك، والدليلي: الطريق والدليلي علمه بالدلالة ورُسوخه فيها؛ فهي تعني الإرشاد والهيئة والفخر والمنّة والجراة⁴، وتشترك جميعها في كونها تُظهر شيئاً مخفياً أو غير معروف في الأصل فتدلّ عليه، فالطريق يرشدك إلى المكان الذي تقصده وهياة الشخص ومظهره تبرز صفاته وشمائله والمتباهي بما أنفق كآته يعدّ ويبيّن ما أنفق وإظهار الجراة والتباهي تُفصح عن شجاعة المرء.

وتُجمّع الدلالة على دلالات (لغير المصدر) ودلائل (لغير المصدر)، ومن أبرز معانيها اللغوية المستعملة حالياً،

نجد:

- ما يُفهم من اللفظ عند إطلاقه: - لهذه الكلمات دلالات خاصّة.

- دليل، شاهد، برهان: - ما دلالتك على صحة الخبر؟
- إشارة، علامة: - وضعت إدارة المرور دلالات للطرق⁵.

ومن أبرز مشتقاتها المستعملة حالياً في علم الدلالة، الدال "الدليل": وهو ما يستدل به⁶. وتُجمع على أدلّاء (للعاقل) وأدلة ودلائل: الإرشاد، برهان، بينة، حجة، شاهد، علامة، وهي الركن الأول من الفعل الدلالي. أما المدلول فهو اسم مفعول من دلّ، ويُقصد به المعنى أو المفهوم، وتمثّل الركن الثاني من الفعل الدلالي⁷.

ومنه نستخلص أنّ لفظة "الدلالة"، وما يُشتقّ منها في اللغة العربية، تأتي بمعان عدّة، أبرزها: الإبانة والتوضيح، الأمانة، الإرشاد، الهداية، الشاهد، البرهان، الإشارة، العلامة؛ وهي معاني تقترب في عمومها إلى حدٍّ ما من التعريف الاصطلاحي للدلالة الوارد عند العلماء العرب القدامى منهم بالخصوص، كالذي نجده عند الراغب الأصفهاني (ت502هـ)، من أنّ الدلالة، هي: «ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممّن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعظّم أنّه حيّ، قال تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سبا/ 14]. أصل الدلالة مصدر كالكناية والأمانة، والدالّ: من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثمّ يسمّى الدالّ والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره⁸، وهو تعريف يحّد الدلالة بجميع جوانبها، فمن حيث وظيفتها تشمل كلّ ما يمكن أن يوصل إلى معرفة شيء ما، وبحسب أنواعها إمّا تكون لفظيّة أو غير ذلك، وقد تُقصد لذاتها أو لا، وأبرز أركانها الدليل/الدال، وتهتم الدلالة أساساً بالأدلة والمدلولات والعلاقات القائمة بينها.

- ويعرّف الجرجاني (816هـ) الدلالة، بقوله: «هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدالّ، والثاني هو المدلول»⁹، يعرفها بأركانها الأساسية (الدال، المدلول) وضرورة وجود علاقة استلزام تجمعهما، وهذا التعريف أيضاً كسابقه لم يقصرها على الدلالة اللفظيّة فحسب، بل وسّعها لتشمل جميع أصناف الإشارات والعلامات والرموز وكلّ ما يمكن أن يُستدلّ به، بقصد أو بغير قصد.

يتبيّن من التعريفين أنّ مصطلح الدلالة قديم، استعمله جميع العلماء العرب القدامى الذين كانت لمباحثهم صلة باللغة بأي شكل كان، وأبرزهم اللغويون والنحاة والبلاغيون والأصوليون (الفقه والتفسير) وعلماء الكلام والفلاسفة، استعملها بعضهم للتعبير عن مبدأ الإفادة أو المعنى أو الغرض من الكلام، أو غير ذلك تبعاً للمفهوم المرتبط بمجال البحث. ولم يشدّ المحدثون أو يبتعدوا عن هذا الخط، إلا أنّ كثيراً منهم خصّوها بمجال اللغة، وأفردوا السّمة والعلامة في عمومها بمجال آخر مُفصل، وهو السّمياء أو علم العلامات، ومن تعريفات المحدثين للدلالة، يمكن أن نذكر مثلاً:

- حسب بيير جيرو، تتمثّل الدلالة في تلك «القضيّة التي يتمّ خلالها ربط الشيء والكائن والمفهوم والحدث بعلامة قابلة لأن توحي بها»¹⁰، فالدلالة تُشكّل مسألة تُدرك من خلال الرّبط بين ركنين أساسيين، يتمثّل الأول منهما في جميع ما يستشعره الإنسان ويُحسّ به ويتصوّره ويفهمه بكيفيّة ما (الشيء، الكائن، المفهوم، الحدث...)، وهو المدلول، وطرفها الثاني هو العلامة الدالّة عليها (الدخان، السحاب، احمرار الوجه، رائحة ماء، كلمة "إنسان"،...)، وهو تعريف كما نلاحظ عام أيضاً لا يكاد يبتعد تعريفات العرب القدامى.

- يصعب تعريف الدلالة، كما يرى "أزولد وتزيفان"، وأنّ جميع ما قيل فيها يُشير إلى أنّها تتمثّل في تلك العلاقة التي تربط بين طرفين، وهي كيان:
• يمكن أن يصير محسوساً: الدالّ.

• ويشير بذاته بالنسبة لمجموع مستعمليه، إلى أمر غائب: المدلول¹¹.

تُحدّد الدلالة إذن، في تلك العلاقة القائمة بين الدال والمدلول، والتي قد تكون مبرّرة (منطقيّة) أو غير مبرّرة (اعتباطيّة)، مقصودة لذاتها أو غير مقصودة، كما أنّ الدال قد يكون لفظاً (دلالة لغويّة)، أو أيّ شيء آخر محسوس أو غير محسوس غير لغوي.

III - الدلالة عند الأصوليين (أصول التفسير):

القرآن الكريم هو الحجّة البالغة، كتاب الله الجامع، جعله للعالمين كافّة ليكون لهم مُرشداً إلى سواء السبيل، وناصحاً ومُنيراً لطريق الهداية، أنزله بلسان عربي مُبين، لغة من أنزل فيهم بدءاً، يقول فيه الشافعي رحمه الله، أنّ من جماع علم كتاب الله عزّ وجلّ: العلم بأن جميع ما جاء فيه إمّا نزل بلسان العرب، ومنه تظهر الحاجة لفهمه وفهم مراده ضرورة العلم بهذا اللسان من حيث بناء خطابه وكيفيّة التّخاطب به، فالواجب على العالمين أن لا يقولوا فيه إلا من حيث علموا¹²، ولأجل ذلك تواتر المسلمون منذ الرّعيّل الأول تفسير القرآن الكريم وتتّبع معانيه جيلاً بعد جيل، كان زمن النزول يُتناقل شفاهة على ألسنة الصّحابة رضي الله عنهم ثمّ التّابعين، قبل أن تُفرد لذلك المؤلّفات في غريب ألفاظه ثمّ

تفسيره ومختلف علومه.

لقد برز علم التفسير كأهم وأجل علوم القرآن الكريم، اهتم به المسلمون لكشف ما استغلق عليهم منه، ومنه حُدَّ هذا العلم، بأنه: «علم يُعرف به فهم كتاب الله سبحانه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان، وأصول الفقه وعلم القراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»¹³، ولقد بين هذا التعريف الغاية التي يبتغيها هذا العلم والأسباب التي يتوسل بها، ويظهر كل من العلم باللغة والدلالة كركن أساسي فيه، فهو يبحث في العلاقة بين كلام الله وبين فهم مدلولاته وبيان معانيه ومن ثمة استخراج أحكامه وحكمه، وعلوم اللغة العربية تعدُّ أحد الحلقات الأساسية التي تُعين على الاقتراب من ذلك إلى حد ما.

ويذكر تعريف آخر، أن علم التفسير «يبحث عن مُراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية، فهو شامل لكل ما يتوقف عليه فهم المعنى، وبيان المُراد»¹⁴، فالتفسير يشمل شرح ألفاظ القرآن الكريم وفق اللغة التي نزل بها، وصولاً إلى الغوص في معانيه وتحديد مُراد الله من كلامه، وحد ذلك ومُنتهاه هو طاقة البشر وقدرتهم، فالكَمال لله وحده، ومن القرآن الكريم ما هو محكم بين الدلالة وهو أكثره، ومنه ما هو متشابه «استأثر الله بعلم كنهه وحقيقته، نحو حقائق صفات الله وكيفياتها، وحقائق أوصاف ما يكون في اليوم الآخر ونحو ذلك، فهذه لا يعلمها إلا الله، ولا يجوز التعرُّض للوقوف عليها، لأنه تعرُّض لما لا يمكن معرفته»¹⁵، ولأجل الوصول للفهم الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ، اجتهد علماء التفسير في وضع قواعد وأصول يُعتمد عليها في فهم كتاب الله، كما دأب على ذلك من قبلهم علماء الفقه، بوضعهم لأصول الفقه.

أخذت جل مسائل أصول التفسير من أصول الفقه، وأول مرجع في ذلك هو "الرسالة" للإمام الشافعي (150هـ-204هـ)، الذي جمع فيه أصول الفقه التي وضعها وتوصل إليها العلماء قبله، واتَّجهت أبحاثه إلى الدلالة المستمدة من النص القرآني والسنة النبوية، وأثر هذه الدلالة على الأحكام الشرعية، وقد عرَّف أصول الفقه، بأنه مجموعة «القواعد التي يُتوسل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة»¹⁶، فالغاية من وضع هذه القواعد هو التمكن من الوصول إلى استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة، والأدلة إما نقلية (القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع) أو عقلية كالقياس. وبالشكل نفسه يُعرَّف علم أصول التفسير، بأنه «مجموعة من القواعد والأصول التي تبين للمفسر طرق استخراج أسرار هذا الكتاب الحكيم، بحسب الطاقة البشرية»¹⁷، والكشف عن معاني القرآن الكريم وبيانها هو المقصود هنا، وأدلتها هي نفسها أدلة الفقه (نقلية وعقلية)، ومن هنا عرف البحث الدلالي عند الأصوليين اتساعاً، خاصة في دلالة النص تفسيراً وتأويلاً لمعرفة الأدلة والأحكام الشرعية، وهي من المرتكزات التي قام عليها اهتمامهم الدلالي.

يعدُّ القرآن الكريم مع السنة النبوية عند علماء الأصول من الأدلة النقلية، المُبينة لكل من خوطب بها مُراد الله من كلامه في الاعتقادات والتشريعات والأحكام وغيرها ممَّا جاء به كلام الله تعالى، فجميع ألفاظه أدلة، وما يُستفاد منها من معاني مدلولات؛ فقوله تعالى مثلاً في الآية: ﴿قَالُوا آدُعْ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: 70] هو دليل (دال)؛ يتضمَّن خبر من الله تعالى عن القوم بجهلة منهم — ثلاثة — ومدلوله أنهم لو كانوا إذ أمروا بذبح البقرة، ذبحوا أيتها تيسرت ممَّا يقع عليه اسم بقرة، كانت عنهم مجزئة، ولم يكن عليهم غيرها، لأنهم لم يكونوا كلَّوها بصفة دون صفة¹⁸. ومدلوله الذي دل عليه ظاهر الكلام يمكن تحديده كما يلي:

جدول 1: يبيِّن ضرورة الجمع بين ظاهر اللفظ وسياقه لتحديد الدلالة

المدلول	الدال (لفظي)
قال قوم موسى لموسى ↓ الذين أمروا بذبح البقرة	﴿قَالُوا﴾
كأنه ربَّ لموسى فقط، وهذا من سفههم، وخطرتهم.	﴿آدُعْ لَنَا رَبَّكَ﴾
طلبوا أن تكون مُعرِّفة لهم بنوعيتها مبينة بحدودها التي تفرق بينها وبين سائر بهائم الأرض	﴿يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشْبَهُ عَلَيْنَا﴾
استثنوا وربطوا اهتمامهم إلى البقرة بمشيئة الله	﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾

واللفظ كما يظهر من هذا المثال، قد يأتي بتركيب كامل يناسب المعنى والغرض الذي قيل فيه الكلام، ويُبين المُراد منه بتمامه، وقد يحذف بعض منه ويُختصر، ليدلَّ عليه ظاهر اللفظ وسياقه؛ فهذه الآية لم تذكر طرفي الخطاب (موسى، قوم موسى)، والسماع يُدرِّكه بتتبع تمام الكلام، وكذلك الاستثناء الذي ورد في قوله ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾، يبيِّن مدى تشديد الله عليهم بكثرة سؤالهم نبيهم واختلافهم عليه، والمُراد من الكلام أنه لولا استثناءهم هذه المرة لما هدوا

إليها أبداً.

لقد كانت عناية الأصوليين بالدلالة للتوصل إلى المقصد والمراد من وراء النص واللفظ القرآني تحديداً كبيرة ودقيقة؛ ونجد أن تفسير اللفظ عندهم يقع في درجات، فقد يفسر بحسب الكلمة وتبيان معناها كما ذكرت في المعجم، وهو ما يعرف في علم الدلالة الحديث بالدلالة المعجمية، وقد يُفسر بالمراد به بحسب السياق والقارئ، بطريقة الدلالة السياقية والتداولية، وصولاً للحكم والأسرار التي يتضمنها القرآن الكريم¹⁹، والسياق في القرآن الكريم لفظي يتعلق باللغة، واللفظة المفردة، وصلة اللفظ بالمعنى، وأنواع الدلالات، وهنا تبرز اللغة الأصولية، وارتباطها بالدلالة حيث أدركوا الرباط بين اللغة العربية والنص التشريعي، الذي أدى إلى فهم النص فهماً دقيقاً من خلال تموقع المفردة ومجاورتها لباقي العناصر اللغوية وتأثير بعضها في بعض دلاليًا وفق ما يُعرف في علم الدلالة الحديث بالسياق اللغوي، وسياق آخر يرتبط بالقارئ الحالية أبرزها أسباب النزول وزمانه (المكي والمدني).

والدلالة اللفظية عند الأصوليين هي دلالة وضعية، متى أطلق اللفظ أو تُخيل فهم منه معناه²⁰، حيث أطراف الخطاب يعلمون به وبما وضع له، وتنقسم هذه الدلالة إلى ثلاثة أنواع؛ ففي قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الحشر: 24]، نجد أن لفظ "الخالق" اسم يدل على ذات الله وعلى صفة (الخلق) بالمطابقة، ويدل على الذات وحدها بالتضمن، ويدل على صفتي (العلم والقدرة) على الخلق بالالتزام.

وطرق وكيفية الدلالة حسب علماء الأصول أربعة: دلالة العبارة ودلالة الإشارة ودلالة النص ودلالة الاقتضاء، ذلك أن كلام الله تعالى هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وهو دليل على الأدلة، وأحكامه منها العام ومنها الخاص، والخاص قد يقبل التعميم ومنه ما ليس كذلك، وفيه المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، وغيره مما يجب استحضاره عند استنباط الحكم، فضبط الحكم من القرآن الكريم يحتمل أربعة أوجه، فهو «إما أن يكون ثابتاً بنفس النظم أو لا، والأول: إن كان النظم مسوقاً له، فهو العبارة، وإلا فالإشارة، والثاني: إن كان الحكم مفهوماً من اللفظ لغة فهو الدلالة، أو شرعاً: فهو الاقتضاء»²¹، ويمكن أن نستدل على ذلك بالأمثلة الواردة في الجدول التالي:

الجدول 2: أمثلة عن طرق الدلالة عند الأصوليين

كيفية الدلالة	النص	الحكم المستنبط
دلالة العبارة	﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ آلَيْسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ [سورة البقرة: 236]	جواز الطلاق قبل الدخول، وقبل فرض المهر
دلالة الإشارة		صحة العقد على المرأة من غير تسمية المهر وتقديره
دلالة النص	﴿إِنَّمَا يَبَلِّغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَبْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: 23]	تحريم ضربهما وشتمهما، والتحرير عليهما، لأنها أبلغ في الإيذاء، فكانت هذه الدلالة على هذا المعنى من باب "دلالة الدلالة"
دلالة الاقتضاء	﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَمْيَتُهُ﴾ [المائدة: 3]	"تحريم أكل الميتة"، فالأكل الذي لم يُذكر هو أمر اقتضاه النص لصحة ما تناوله "وهو تحريم الميتة"

المصدر: خالد عبد الرحمان العك، أصول التفسير وقواعده، بتصريف، ص. 365. 369. 371.

وضع علم التفسير وأصوله لضبط قواعد فهم كتاب الله عز وجل، والنمك من استنباط أحكامه وأدلته المبنية عليه نقلياً (القرآن والسنة والإجماع) وعقلياً كالقياس، واللفظ هو إحدى الدلالات الخمس على المعاني (اللفظ والإشارة والعقد والخط والنسبة)، وهو ميزة الإنسان وخاصته الأساسية. ولقد كانت اللغة (العربية) أحد أبرز الركائز والأدلة التي اعتمد عليها الأصوليون في التفسير واستنباط الأحكام المختلفة من كلام الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ، وجميع طرق الدلالة ترتبط باللغة عبارة وإشارة ونصاً واقتضاء، ثم إن علاقة القرآن الكريم باللغة العربية وأصولها لا تنفك فاللغوي والتحوي والبلاغي يعد القرآن الكريم أهم أصوله التي يعتمد عليها في التقعيد، فهو الذي نزل بلغة العرب ووفق أساليبهم

في الكلام، وكذلك الشأن في علم الدلالة، بدءاً بالدلالة المعجمية التي كثيراً ما يُستشهد فيها بالقرآن الكريم، وانتهاءً إلى الدلالة السياقية والتداولية.

IV - لفظ الدلالة في القرآن الكريم:

وردت لفظة "دلالة" في القرآن الكريم في سبعة مواضع، جاءت ستة منها بصيغة "دلّ" وتصريفاتها (دلّ، أدلّ، ندلّ)، خمسة منها في المضارع الذي يدل على حدث في الزمن الحاضر والمستقبل، مُعبّرة بذلك عن حدوث الفعل الدلالي واستمراريته، أو طلب حدوثه، فالفعل مقصود لذاته في مثل هذه الحالات، ووردت مرة واحدة بصيغة دليل: (ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا)، وصيغة فعيل هنا بمعنى فاعل، فالشمس تنسخ الظلّ وتدّلّ عليه، ودلالة الشمس غير مقصودة لذاتها، بل المقصود هو دلالة المخلوق (الشمس والظلّ) على وجود الخالق، ولفظ هذه الآيات جاء كالتالي:

الجدول 3: الآيات التي وردت فيها لفظة "دلّ" وتصريفاتها

رقم الآية	السورة	الشاهد
01	طه	﴿هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾
02	طه	﴿هَلْ أَتَاكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمَلِئَ لَا يَبْلَىٰ﴾
03	الفرقان	﴿أَلَمْ تَر إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾
04	القصص	﴿هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِصُونَ﴾
05	سبأ	﴿هَلْ نُنَادِيكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يَنْبِتُكُمْ إِذَا مُرِقْتُمْ كُلَّ مَرْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾
06	سبأ	﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتِهِمْ﴾
07	الصف	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَتَاكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تَجْعَلُكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾

تتشترك لفظة "دلالة" في جميع هذه المواضع في معنى لغوي واحد، وهو "الإرشاد" و"الهداية" إلى شيء مرغوب، ومنه عرّف المفسّرون الدلالة بأنّها: الإرشاد إلى شيءٍ مطلوبٍ غير ظاهرٍ لطلابه²²، بما يعني ضرورة وجود مخاطب ومُخاطَب، يحصل بينهما خطاب إرشادي لا يكون على سبيل التّحاج أو الجدل، لعدم وجود قضية خلافية بحاجة إلى تحاج وإقناع، ولا هو برهاني يطلب علم يقيني، إنّما يقوم الإرشاد فيها على تقديم الدليل — سواء كان موصلاً إلى علم أو إلى ظن — وحصول الطرفين على مُرادهما، ويُسمّى الأول بالذال/الدليل: وهو المُرشِد النَّاصِب للدليل، والثاني بالمُستدل: وهو الطالب للدليل، والذي تغيب عنه الدلالة المطلوبة²³.

ومن الجدير بالذكر أيضاً في هذا السياق، الإشارة إلى موضع آخر يقول فيه تعالى: ﴿فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [سورة الأعراف: 22]، أين ترد لفظة "دلّ" وهي غير "دلّ"، مصدرها "الدّلّ"، وقد فسّر العلماء ﴿فَدَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ﴾ بمعناها اللّغوي، يذكر البغوي في معناها:

- خَدَعَهُمَا بِزُخْرَفٍ مِنَ الْقَوْلِ بَاطِلٍ.

- حَطَّهُمَا مِنْ مَنْزِلَةِ الطَّاعَةِ إِلَىٰ حَالَةِ الْمَعْصِيَةِ²⁴.

فالآية هنا تتعرّض لعاقبة استجابتهما لغواية إبليس ووقوعهما في المعصية، ولم تذكر فيها لفظة الدلالة، إلا أنّه ورد في الآية التي قبلها "النّصح": ﴿وَوَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ﴾، جاء في تفسيرها عند ابن كثير: خَلَفَ لَهُمَا بِاللَّهِ، فَقَالَ: إِنِّي خُلِقْتُ قَبْلَكُمَا، وَأَنَا أَعْلَمُ مِنْكُمَا، فَاتَّبَعَانِي أَرْشِدُكُمَا²⁵، والنّصح قريب من الإرشاد، وفيهما الدّعوة إلى ما فيه الصّلاح، إضافة لثبوت الأطراف الدلالية المتوافقة مع الآيات الواردة فيها لفظة "دلالة".

والملاحظ أيضاً في هذه الآيات أنّ الدليل قد يتكوّن من ركنين المرشد وما به الإرشاد، بحيث يتمّ عند الدلالة الإشارة إلى علامة تُحيل إلى المطلوب، والتي تكون في الغالب علامة حسية (أمّ موسى، شجرة الخلد، رجُل، الشمس،

دابة الأرض)، والتي قد تُرشد إلى الحاضر المحسوس غير المعلوم لطالبه، أو إلى الغيبي غير المحسوس غير المعلوم لطالبه. والدليل في اللغة: «هو المرشد وما به الإرشاد، وفي الاصطلاح: هو الذي يلزم من العلم به العلم بشيء آخر»²⁶، فالمعنى الذي استعملت به لفظة "الدلالة" في القرآن الكريم يتطابق والمعنى اللغوي لها، أما المعنى الاصطلاحي فيظهر في الفعل الدلالي الذي تنبني عليه هذه الآيات، أين يكون طلب الدلالة من ناصبها (المرشد)، فهو الذي يعرض الخدمة على المستدل، ولذلك نجد أن جميع هذه الخطابات تنبني على استفهام (هل، ألم، ما)، و«الاستفهام لا يكون إلا لما يجهله المستفهم، أو يشك فيه، وذلك أن المستفهم طالب لأن يفهم»²⁷ ويكون غرضه في الغالب طلبي، وفي ذلك إشارة إلى طلب النصيحة مع البيان والإعلام بشيء مرغوب فيه مجهول غير معلوم لطالبه.

V - أركان الدلالة وعناصرها في القرآن الكريم:

يكشف تفكيك الخطاب الدلالي الوارد في القرآن الكريم عن أركان تخاطبية تامة، مكونة من: مُرسل، مُرسَل إليه، الزمان والمكان، الرسالة، الدلالة وعناصرها؛ يمثل المرسل الركن الأساسي فيها باعتباره ناصب الدلالة، وله علم برغبة المستدل، ويمتلك الدليل الذي يُرشد إلى المطلوب، فهو الذي يضطلع بذكر ما فيه الدلالة، ويسمى أيضاً بالدال أو الدليل. أما المرسل إليه؛ فهو طالب الإرشاد والدليل، له رغبة ملحة فيها لكنه يجهلها ويطلبها، ويسمى بالمُستدل، ويمكن تحديد هذه الأطراف كما يوضحه الجدول الآتي:

الجدول 4: أركان الخطاب في الآيات التي وردت فيها لفظة "دل" وتصريفاتها

المرسل	المرسل إليه	السورة	رقم الآية
01	أخت موسى	أهل فرعون	طه 40
02	إبليس	آدم	طه 120
03	الله جلّ جلاله	المؤمنون	الفرقان 45
04	أخت موسى	أهل فرعون	القصص 12
05	كفار قريش	الوافدون إلى مكة	سبا 07
06	الله جلّ جلاله	المؤمنون	سبا 14
07	الله جلّ جلاله	المؤمنون	الصف 10

تتضمن الرسالة إرشاد إلى مطلوب مرغوب فيه عند المُستدل، ويتم هذا الإرشاد بواسطة أدلة منها ما هو ذو طبيعة لغوية، أو غير لغوية، أو تجمع بينهما معاً؛ والدلالة اللغوية هي تلك التي تتخذ فيها العلامة الدالة شكل لفظ لغوي، تواضعت عليه جماعة لغوية ما واتفقت على أن يكون مقابلاً مناسباً لمداول معين، مع مراعاة استعمالاتها وأساليبها التخاطبية المعتادة بين المتخاطبين، ما يسمح للسامع تبين المعاني المرسله بشكل واضح، أما غير اللغوية فتشمل كل من الإشارات والعلامات والرموز والحركات وجميع ما يدرك بالحواس من غير اللفظ. ويتسع مفهوم الدلالة كما ورد في القرآن الكريم ليشمل اقتران اللغة بعلامات ودلائل عقلية وحسية وفطرية، تكون بمثابة الحجة على وقوع الدلالة وتمثل وتشكل المعنى بصورته المتكاملة، ويمكن أن نمثل لذلك كما يلي:

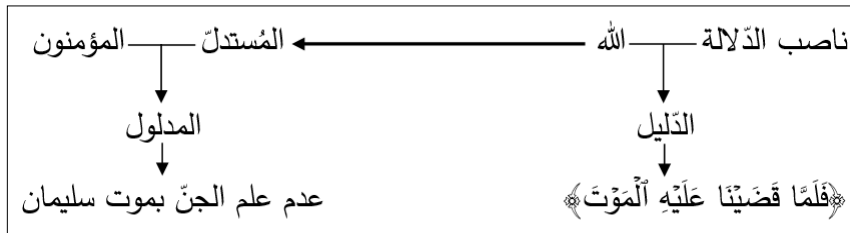
- قوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ﴾ [سورة طه: 40]، أي أنها (أخت موسى) دلّتهم على أمّ موسى (العلامة الحسية) التي ستتكلّف بالمطلوب من رضاة ورعاية، والملاحظ أيضاً أن الدلالة هنا تنبني قبل الإرشاد إلى المطلوب (المراضع) على الإعلام عن محلّه (أهل هذا البيت)²⁸، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ﴾ [سورة القصص: 12]، هذا المحل (أهل بيت) يفترض أنه موجود بينهم، والخبر والمعلومات الثامة المتعلقة بموسى عليه السلام وصلّته بهم غير معلومة إلا عند الدليل/الدال (أخت موسى)، لكنّها لم تعلمهم إلا بقدر ما يطلبون (المرضع)، بمعنى أن الإرشاد يتوقّف عند الإخبار والإعلام بما هو مرغوب عند المُستدل:

تجتمع هذه الأوجه الدلالية المختلفة في قصة موت سيدنا سليمان عليه السلام؛ حيث نجد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سورة سبأ: 14] تكثيف دلالي مع كثرة تنوعه، خاض المفسرون فيه تفسيراً لمعاني ألفاظ الآية والمعرفة بالمُراد بها، مع محاولة فهم الحكم والأسرار التي تتضمنها³²، نذكر منها ما أورده السعدي في تفسيره، يقول: «فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان، عليه الصلاة والسلام، كل بناء، وكانوا قد مؤهوا على الإنس، وأخبروهم أنهم يعلمون الغيب، ويطلعون على المكنونات، فأراد الله تعالى أن يُري العباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكثوا يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان عليه السلام، وأتكا على عصاه، وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها، ظنوه حياً، وهابوه. فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل ترعاها، حتى باد وسقط فسقط سليمان عليه السلام وتفرقت الشياطين»³³.

ومُراد الله تعالى من هذه الآية هو إرشاد عباده إلى بطلان دعوى الجنّ علمهم بالغيب، وقد بيّنه بعد أن تدرّج في عرض مجموعة من الدلالات الحسية الجزئية المتنوعة والمُثبتة لمراده من الدلالة (الدابة، أكل المنسأة، خور جثة سليمان)، وردّ بذلك وقطع تشبيه الجنّ على الإنس.

يدرك الجميع من إنس وجن أن الموت واقع لا محالة، والله عزّ وجلّ أراد أن يقطع الشكّ باليقين، ويبين لخلق حقيقته الموت، فابتدأ الآية بعبارته صريحة الدلالة بأنه قضاء وقدر من عند الله ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾، وهي من الأدلة المسلّمة عند عباد الله المؤمنين به من الإنس والجنّ، مُثبتة لعدم علم الجنّ بأجل سليمان عليه السلام ولا بوقوع موته، يقول ابن كثير في ذلك: «يَذْكُرُ تَعَالَى كَيْفِيَّةَ مَوْتِ سُلَيْمَانَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَيْفَ عَمِيَ اللَّهُ مَوْتَهُ عَلَى الْجَانِّ الْمُسَخَّرِينَ لَهُ فِي الْأَعْمَالِ الشَّاقَّةِ، فَإِنَّهُ مَكَثَ مُتَوَكِّئًا عَلَى عَصَاهُ مَدَّةً طَوِيلَةً»³⁴، ويمكن توضيح هذا الوجه الدلالي كما يلي:

المخطط 3: يبيّن الوجه الأوّل للدلالة: العبارة عن الدلالة، لتوضيح ما غمض منها



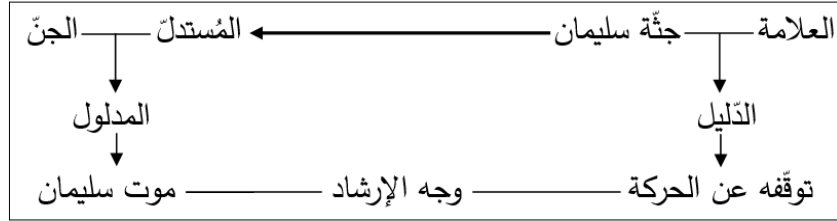
انتقل بعد ذلك إلى عرض الأدلة الحسية التي تؤكد وترشد إلى مُراد، وبيان ذلك قوله تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾، فدابة الأرض (الأرضة) كانت دالة على موته، أي سبباً لظهور موته³⁵، بمعنى أن الدابة وأكلها العصا دال، وهيئة سليمان وهو ميت مدلول، وهي الدلالة التي يُشير إليها ظاهر الكلام، غير مقصودة من طرف الأرضة، مقدّرة من عند الخالق عزّ وجلّ، الذي قضى بموت سليمان وتسليط الدابة على منسأته، ودون أن تعلم الجنّ بأيّ حدث من ذلك رغم طول المدّة، ووجه الدلالة في هذه الحالة يمكن توضيحه وفق ما يلي:

المخطط 4: يبيّن الوجه الثاني للدلالة: ما يمكن أن يستدل به، بقصد أو بغير قصد



تكشف هذه الدلالة عن أمانة حسية دالة على موت سليمان، وهي جثة سليمان ساقطاً على الأرض مع عدم حركته اطلاقاً ممّا يثبت وفاته، وهذا وجه آخر من أوجه الدلالة الذي تبيّنه الآية (الأمانة)، هذه الأمانة (عدم حركته) هي التي أبانت للجنّ عن موت سليمان، وهو ما يمكن توضيحه كما يلي:

المخطط 5: يبين الوجه الثالث للدلالة: الأمارات



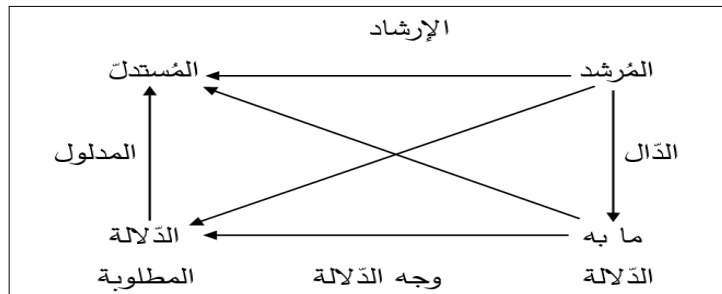
وختم جلّ شأنه هذه الآية بوجه آخر ينفي علم الجنّ للغيب، وردّ شبهتهم وأبطلها بدليل عقليّ تجريدي: «تَبَيَّنَتْ الْجَنُّ أَنَّ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ»، وهو ما فسّره ابن كثير بقوله: «تَبَيَّنَتْ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ أَيْضًا أَنَّ الْجَنِّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، كَمَا كَانُوا يَتَوَهَّمُونَ وَيُوهَمُونَ النَّاسَ ذَلِكَ»³⁶، فجمع بذلك بين دلالة العبارة (قضاء الله بموت سليمان) ودلالة الأمانة (سقوط سليمان وعدم حركته)، وبين الدلالة الحسية (دابة الأرض وأكلها للمنساء) والدلالة التجريدية، بما يمكن توضيحه في الجدول التالي:

جدول 5: أوجه الدلالة في قصة موت سليمان عليه السلام

وجه الدلالة	الدال/الدليل	المدلول - وجه الإرشاد -
العبارة عن الدلالة (حقائق)	- موت سليمان. - الجن لا تزال في العذاب المهين.	- قضاء الله وقدره. - عدم علم الجنّ بموت سليمان.
الشبهة (الظنية)	- الجنّ ينبؤون بما غاب عن البشر.	- الجنّ يعلمون الغيب
الأدلة الحسية	- دابة الأرض. - أكل المنساء.	- يخرّ سليمان جثة هامدة.
الأمانة	- عدم حركة سليمان.	- سليمان ميّت.
المُرَاد من الدلالة	تَبَيَّنَتْ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ أَيْضًا أَنَّ الْجَنِّ لَا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ	

لقد وضع القرآن الكريم النهج الإسلامي في الاستدلال والذي يجمع بين الدلالة النقلية والدلالة العقلية الحسية منها والتجريدية المعنوية، وهي تعتمد أساساً على الإرشاد وتقديم الحقائق ثمّ التدليل (العلامة، الأثر، الأمانة...) مع الملاحظة والتأمل وصولاً إلى النتيجة المطلوبة والتمييز بين الحقّ والباطل؛ والآيات التي ورد فيها ذكر لفظ "دلّ" بصيغته المختلفة، تشترك في تعيين الأصل اللغوي لهذا اللفظ (الإرشاد، الهداية، البيان عن المعنى)، ويبين التحليل الدلالي لخطاب هذه الآيات وجود بنية متكاملة للفعل الدلالي، فهي تمثل نموذجاً تطبيقياً مثالياً لتمثّل ما جاءت به المفاهيم النظرية الدلالية الحديثة، وتمكّن من التحليل العميق للفعل الدلالي، وفق المربع الدلالي التالي:

المخطط 5: المربع الدلالي؛ يبين التفاعل بين مختلف أطراف الفعل الدلالي

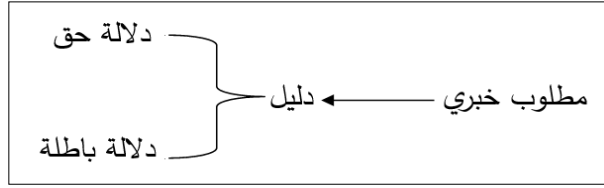


VI - درجات الدلالة وأنواعها:

يقوم الفعل الدلالي أساساً على كل من الدال والمدلول، والعلم في الإسلام، كما أسّس لذلك القرآن الكريم، لا يؤخذ إلاّ بدليل، والرأي لا يكون مجرداً عن الدليل، والدليل إما نقلي (قرآن، صحيح السنة، علماء الصحابة والتابعين) أو عقلي (كالقياس)³⁷، والنقل يلزمه الصحة. وتتوقف صحة الدلالة على صدق العلاقة والنسبة بين طرفي الفعل الدلالي، وبناءً

عليه سميّ بين نوعين من الأدلة؛ أدلة باطلة غرضها التّضليل، وأدلة صحيحة مبنية على علم يقيني غرضها النصيحة والإرشاد للحق، فهي تنوّع وفق التّالي:

المخطّط 6: يبيّن أنواع الدّلالة حسب العلاقة والنّسبة بين طرفي الفعل الدّلالي



تّجمع عمليّة الإرشاد وفق ما ورد في الآيات الّتي ذكر فيها لفظ "دلّ" وتصريفاتها، بين ناصب للدّلالة ومستدلّ، في ثنائيات تحمل أربع احتمالات: (الله عزّ وجلّ، الإنسان) أو (الله عزّ وجلّ، الجن) أو (الإنسان، الإنسان) أو (الشّيطان، الإنسان)؛ فالدّلالة الّتي نصبها ربّ العزّة هي حقّ بلا ريب، وما نُصب من الإنسان يحتمل الحالتين، وما نُصب من الشّيطان عدوّ الإنسان فأصلها الباطل، يقول تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة فاطر: 6]، فعلة عداوته أنّ دلالته للإنسان دلالة غواية وهلاك لا دلالة إرشاد ونصح وهداية.

وردت **دلالة الحقّ**؛ حسب سياق الآيات السّابقة، في خمس منها: الآية 40 من سورة طه والآية 45 من سورة الفرقان والآية 12 من سورة القصص والآية 14 من سورة سبأ والآية 10 من سورة الصف، في مواضع ثلاثة كان المرشد فيها الخالق عزّ شأنه يثبت فيها لعباده وجود إله واحد خالق قادر بيده كلّ شيء من قضاء وقدر وعلم للغيب ولا يشاركه في ذلك أحد، ويبين لهم أنّ عليهم الإيمان به والعمل على النّجاة يوم البعث.

وفي الموضوعين المتبقيين كان المرشد فيها "أخت موسى" سليمة عائلة النّبوة، فهي من عباده الصّالحين، وأنّ ما حدث لموسى وأمّه كان بعلم من الله ووحيه، يقول تعالى: وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلَيْهِ فِي السَّيِّئِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ [سورة القصص: 7]، وإن كان هذا الوحي كما يذهب إلى ذلك كثير من المفسّرين وحي إلهام، إلّا أنّهم يتفقون أنّه من عند الله عزّ وجلّ.

وردت **دلالة الباطل**؛ في الآية 120 من سورة طه وفي الآية 7 من سورة سبأ، وهي دلالة تقوم على الشّبهة وغايتها التّضليل، وذلك مقصود ناصب الدّلالة في هذه المواضع، فإبليس لم يدلّ آدم عليه السّلام على شجرة الخلد كما زعم، بل كذبه بدليل أنّ آدم لم يخلد، لذلك قال عنه عزّ شأنه: ﴿فَدَلَّلْنَاهُ بِغُرُورٍ﴾ وَالْغُرُورُ إِظْهَارُ النَّصْحِ مَعَ إِطْطَانِ الْعَيْشِ³⁸، ولم يدلّه إلّا على الشّجرة الّتي نهاه الله عزّ وجلّ عن الأكل منها، وتمكّن من إيقاع آدم في المعصية الّتي هي حقيقة مدلوله.

ونُصبت الدّلالة في الموضوع الثّاني من كفّار قريش لصّدّ الناس عن خبر الرسول ﷺ، يقول تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سورة سبأ: 7]، فلنسان حالهم ينطق بأن لا تصغوا لهذا الرّجل ودعوته — نكروه رغم علمهم به وبدعوته لهم — مُستدلين باستحالة البعث والخلق من جديد بعد الموت والبلوى (دليل عقلي)، وإذا كان إبليس قد غرّ وأوهمه بصدق دعواه على شجرة الخلد بقسمه له، فإنّ كفّار قريش عمدوا إلى وسيلة خطابتية صرفة، حيث «أَدْمَجُوا فِي الاسْتِدْلالِ التّعجيبَ مِنَ الَّذِي يَأْتِي بِنَقِيضِ دَلِيلِهِمْ، ثُمَّ إِرْدَافَ ذَلِكَ التّعجيبِ بِالطّغْنِ فِي الْمُتَعَجّبِ بِهِ»³⁹، فقالوا: ﴿أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ [سورة سبأ: 8]، وغايتهم في ذلك صرف السّائلين عن الرّسول ﷺ برميّه بالكذب والجنون.

دلالة الباطل كما وردت في القرآن الكريم، لا يقدّم فيها ناصبها أدلة حقيقيّة عن صدق دعواهم، إنّما يزيّنون للنّاس من أجل الوقوع في المعصية، ويضلّلون ويظهرون الحقّ في صورة قبيحة بالطّعن فيه والاشتباه صدّاً عنه ودرءاً عن الاقتراب منه؛ وهذا الصّنيع منهم هو ديدن الشّياطين كما وصفهم القرآن الكريم، يقول ربّنا جلّ ثناؤه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾ [سورة الأنعام: 112]، والشّيطان في كلام العرب: «كل متمرّد من الجنّ والإنس والدوابّ وكلّ شيء»⁴⁰، ومثل هذه الدّلالة يظهر دائماً بطلانها بمجرد تفحص دقّة وصحّة النّسبة بين الدّال والمدلول.

VII - الخاتمة:

يتبيّن من هذا البحث، أنّ مصطلح الدّلالة قديم، استعمله جميع العلماء العرب القدامى الّذين كانت لمباحثهم صلة بالّلغة بأيّ شكل كان (اللّغويون والنّحاة والبلاغيون والأصوليون وعلماء الكلام والفلاسفة)، كما استعمله المحدثون ليعبروا به عن علم مستحدث، أطلق عليه "علم الدّلالة" الّذي يهتم بدراسة المعاني اللّغويّة تحديداً (الصّوتيّة والصّرفيّة

والنحوية والسياقية والتداولية)، وهي الدلالات التي حظيت باهتمام اللغويين والنحاة. في حين نجد أن الأصوليين، وضعوا الدلالة اللفظية في ثلاثة أصناف، هي: دلالة مطابقة ودلالة تضمن ودلالة التزام، وحدوا طرق وكيفية الدلالة، في: دلالة العبارة ودلالة الإشارة ودلالة النص ودلالة الاقتضاء.

لقد وردت لفظة "دلالة" في القرآن الكريم في سبعة مواضع، تشترك جميعها في معنى "الإرشاد إلى شيء مطلوب غير ظاهر لطلبه"، وهي ما تتطلب كما يظهر في تلك المواضع أركان تخاطبية تامة؛ تشمل المخاطب والمخاطب، ويسمى الأول بالذال/الدليل: وهو المرشد الناصب للدليل، والثاني بالمستدل: وهو الطالب للدليل، والذي تغيب عنه الدلالة المطلوبة، ويضاف لذلك زمان الخطاب ومكانه، والدليل المادي أو المعنوي ووجه الإرشاد. وتبعاً لطبيعة العلاقة بين الدال والمستدل، وما تتم به الدلالة، تتميز الأدلة الباطلة المضللة عن الأدلة الصحيحة التي غرضها النصيحة والإرشاد للحق.

وبذلك نجد أن القرآن الكريم، يقدم نموذجاً تطبيقياً مثالياً لتمثل ما جاءت به المفاهيم النظرية الدلالية الحديثة، والتمكن من التحليل العميق للفعل الدلالي اللغوي تحديداً، والإسهام بذلك في إغناء الدرس الدلالي بمصطلحات ومفاهيم ثرية.

المراجع

- 1 - جين إتشسون، اللسانيات مقدمة إلى المقدمات، تر: عبد الكريم محمد جبل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2016، ص.183.
- 2 - ينظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن جلال الدين بن مكرم، لسان العرب، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1999، مادة (د ل ل).
- 3 - أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، مصر، دط، 1979، مادة (د ل ل).
- 4 - ينظر: ابن منظور، المرجع السابق، مادة (د ل ل).
- 5 - ينظر: أحمد مختار عمر وآخرون، اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، مادة (د ل ل).
- 6 - ينظر: إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1990، مادة (د ل ل).
- 7 - ينظر: أحمد مختار عمر وآخرون، المرجع السابق، مادة (د ل ل).
- 8 - الزاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيّد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت، ص.171.
- 9 - علي بن محمد السيّد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، ص.91.
- 10 - ببير جيرو، علم الدلالة، تر: انطون أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص.15.
- 11 - أزولد وتزيفان، الدلالة والمرجع، دراسة معجمية، في كتاب: ت. تودوروف وآخرون، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تر: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000، ص.24.
- 12 - الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس، الرسالة، تح: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، القاهرة، مصر، ط1، 1358هـ/1940م، ج1، ص.40.
- 13 - خالد عبد الرحمان العك، أصول التفسير وقواعده، دار التفائس، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص.40.
- 14 - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، دار الحديث، القاهرة، 2012، ص.19.
- 15 - عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج1، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص.122.
- 16 - محمد الخضري، أصول الفقه، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، مصر، ط6، 1969، ص.14.
- 17 - خالد عبد الرحمان العك، أصول التفسير وقواعده، ص.11.
- 18 - أبو جعفر الطبري (310هـ)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، جامع البيان في تأويل القرآن، ج2، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000، ص.203.
- 19 - محمد بن صالح العثيمين، شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، إعداد: عبد الله بن محمد بن أحمد الطيار، دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1995، ص.8.7.

- 20 - علي بن محمد السيّد الشّريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص.92.
- 21 - علي بن محمد السيّد الشّريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص.91.
- 22 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور (1393هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ج16، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، 1984، ص325.
- 23 - أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح: عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 2001، ص.11.
- 24 - البغوي (أبو محمد)، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج2، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1997، ص.184.
- 25 - أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1999، ص.129.
- 26 - علي بن محمد السيّد الشّريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص.91.
- 27 - الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (أبو هلال العسكري)، الفروق في اللغة، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، 1998، ص.37.
- 28 - السعدي: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، ص.612.
- 29 - الرّمخشري، ج3، ص.282.
- 30 - أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج19، ص.274.
- 31 - الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، الفروق في اللغة، ص.68.
- 32 - محمد بن صالح العثيمين، شرح مقدّمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص.8.7.
- 33 - السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص.676.
- 34 - أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص.501.
- 35 - القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، الجامع لأحكام القرآن، ج14، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964، ص.278.
- 36 - أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج6، ص.501.
- 37 - محمد بن صالح العثيمين، شرح مقدّمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص.9.
- 38 - البغوي (أبو محمد)، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ج2، ص.184.
- 39 - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج22، ص.147.
- 40 - أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج1، ص.111.